حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٥ (عدد يوليو – سبتمبر ٢٠١٧)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

سياق الحال بتن الفكر العربي والفكر الغربي

وفاء عباس حسن الحويت *

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الملك عبد العزيز

المستخلص

يركز البحث على عقد مقارنة بين الفكرين، العربي والغربي؛ لبيان أصالة الفكر العربي، وسبقه وواقعيته المرتبطة بالنصوص العربية، واستنباط دلالات شرعية تحليلية أدبية ولغوية.

قدم البحث تعريفًا بالسياق وأهميته، وتحدّث عنه في الفكر الغربي، ووضح الكلام عنه في الفكر العربي عند المفسرين، وعلماء أصول الفقه، والنحاة، والأدباء، والبلاغيين، والنقاد، وانتهى ذلك كله بالخاتمة التي لخّصت نقاط الموازنة بين الفكرين، وبيّنت الجوانب المضيئة في الفكر العربي عن السياق بشقيه؛ اللغوي، وغير اللغوي.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

مدخل: تحديد مجال البحث:

تنحصر فكرة البحث ومجاله في بيان كلام العرب القدماء عن سياق الحال (Context of situation)، ثم مقارنة هذا الكلام بما قدمه الغربيون عن الموضوع نفسه.

ويهدف البحث من خلال هذه المقارنة إلى إثبات مجموعة من الأمور تتصل بالفكر العربي حول ما قدمه عن السياق، من حيث أصالة هذا الفكر، وسبقه التاريخي، وواقعيته، وارتباطه بالنصوص اللغوية العربية، وعلى رأسها القرآن الكريم، واستنباط دلالات أدت إلى تحقيق مقاصد شرعية، وتحليلات أدبية ولغوية مفيدة.

ويتوزع البحث -لتحقيق ماسبق- على النقاط التالية:

١- التعريف بالسياق، وبيان أهميته.

٢- سياق الحال في الفكر الغربي.

٣- سياق الحال في الفكر العربي.

٤- الخاتمة: النتائج وعقد الموازنات.

التعريف بالسياق، وبيان أهميته:

السياق لغةً: تدور المعاني اللغوية لهذا اللفظ حول دلالات: الدفع، والتتابع، والإيراد، والسرد، والموالاة، والتلازم بين الشيئين، وسياق الكلام: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه، ومن المجاز: هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك سياق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا[١]، ويفهم من ذلك أن كلمة (سياق) تثير في الذهن معنى لحوق شيء لشيء آخر، واتصاله به، واقتفاء أثره، كما تثير معنى الارتباط والتسلسل والانتظام في سلك واحد، بحيث لا يرى الأمر إلا في سياقه.

السياق اصطلاحًا: تعددت المفاهيم التي قدمها القدماء لمصطلح السياق، ومن هذه المفاهيم: غرض المتكلم ومقصوده من سوق الكلام، وإيراده، أو: ما يكاد يطابق مجال السياق اللغوي المتمثل في الحدث اللغوي المعين، المراد فهمه، أو: هو الظروف والمواقف التي ورد فيها النص، وما يرادف السياق غير اللغوي، أو سياق الحال.

نستخلص مما سبق أن مصطلح (السياق) يطلق ويراد به أحد معنيين:

- "تتابع الكلمات في جمل، أو الجمل في النصوص"[٢].
- "المقام الذي يصاحب الكلام"[٣].

ويهمنا الشق الثاني، وهو المقام، أو سياق الموقف، أو السياق غير اللغوي، ذلك الشق الذي أطلق القدماء عليه عددًا من المصطلحات تشير إلى المفهوم نفسه، أو إلى ما يقاربه، ومن هذه المصطلحات: الموقف[٤]، الحال[٥]، قرينة المقام[٦]، الأحوال المشاهدة[٧]، القرينة، أو القرائن[٨]، مقتضى الحال[٩]، قرينة الحال[١٠]، قرائن الحال[١١]،..إلخ.

أما المحدثون من علماء العربية فيغلب عندهم استعمال مصطلحي (السياق اللغوي)؛ للدلالة على الشق الأول[١٢]، و(السياق غير اللغوي)؛ للدلالة على الشق الثاني[١٣] من السياق، وقد يطلقون على الأخير (سياق الموقف)[١٤]، أو (سياق الحال)[١٥].

وتتضح أهمية السياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي في كونه الإطار العام لاستعمال اللغة، تلك الخصيصة التي تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، وبها يتم التواصل، وتتمايز المجتمعات.

وتظهر قيمة هذا السياق في إعطاء الكلمات والجمل دلالاتها المقصودة، وتحقيق مبدأ الإفادة من حيث الفهم والإفهام، فهم المخاطب أو السامع ما يريد المتكلم أن يقوله له، أو يفهمه إياه.

كما تظهر قيمته الجليلة في فهم كلام الله، والوصول إلى مراده، وذلك عمل المفسرين، وتظهر قيمته كذلك في تحري مقاصد الشرع الحكيم، وذلك عمل الأصوليين، وهذان العملان مما ينفرد بهما الفكر اللغوي العربي، ولا يوجدان في أي فكر لغوي آخر.

ويتألف السياق من شقين كبيرين، هما: السياق اللغوي، والسياق غير اللغوي، ولكل منهما عناصر، فعناصر السياق اللغوي مجموع الوحدات اللغوية المستعملة في الموقف المعين، تلك الوحدات التي تتضمن الأصوات والصيغ والجمل والمفردات، أو الكلمات التي تنتظمها الجمل وفق النظام التركيبي، أو القواعدي لكل لغة.

وتؤدي هذه العناصر اللغوية ما يمكن تسميته (معنى المقال)، أو الدلالة الحرفية للحدث اللغوي، ذلك المعنى الذي يراد أحيانًا تبليغه المخاطب، وإيصاله إليه في بعض المواقف.(١٦)

أما عناصر السياق غير اللغوي، فهي ما يأتي:

١- المتكلم، أو المرسل، وكل ما يتصل به من أمور، توسع فيها بعض العلماء، كالأصوليين، والبلاغيين، وأجملها بعضهم الآخر، وعلى راسهم المفسرون.(١٧)

٢- المستمع، أو المخاطب، وكل ما يتصل به من أمور، توسع فيها كذلك المتوسعون، وأجملها المجملون.

٣- زمان الكلام ومكانه، سواء كان ذلك على الإطلاق، أم كان لهما، أو لواحد منهما دخل في أحداث الكلام، وفهم معانيه.

٤- الأشياء التي قد تكون موجودة مباشرة في مكان الكلام، ويكون لها دخل مباشر، أو غير مباشر بالكلام، من حيث إلقاؤه وفهمه.

٥- مجموعة العادات والأعراف والتقاليد المتبعة في استعمال اللغة، وفي فهمها واستقبالها، وقد يحلو لبعض العلماء تسمية هذا العنصر بالثقافة في مفهومها العام.

٦- أثر الكلام الفعلي في المشاركين في الموقف.

تلك هي الخطوط العريضة لعناصر سياق الحال، أو الموقف.

<u>سياق الحال في الفكر الغربي:</u>

ننبه منذ البداية إلى أن الحديث عن سياق الحال، أو سياق المواقف، أو المقام في الفكر الغربي قد تطور في العقود الأخيرة تطورًا كبيرًا بعد مرحلة (مالينوفسكي) و(فيرث)، تطور على يد (هاليداي) و(رقية حسن)، ومن معهما من علماء النص، أو تحليل الخطاب، كما تطور على يد (جون أوستن) و(جون سيرل)، ومن معهما من أصحاب الفكر التداولي؛ لذلك نستطيع التمييز بوضوح بين هذه المراحل على النحو التالي:

أولاً- مرحلة (فيرث):

ظل البحث الغربي في اللغة خاضعًا لمناهج من خارج اللغة إلى بداية القرن العشرين في أوربا، وفي أماكن أخرى من العالم باستثناء الحضارة العربية الإسلامية.

وظل هذا البحث يلامس موضوع المعنى والدلالة من بعيد، أو يقاربه على استحياء، إلى أن عثر (مالينوفسكي) على جماعات لغوية في جزر منعزلة لا تفهم لغتهم واستعمالهم إياها بعيدًا عن سياقها، أو مسرحها اللغوي، فذكر ذلك، ونص عليه، وربط هذا الاستعمال اللغوي بالموقف.(١٨)

تأثر به (جون فيرث) في هذه المسألة؛ لأنه كان مشغولاً بالدلالة، أو المعنى، واتضح له أن معنى أي حدث لغوي لا يفهم، ولا يمكن الإمساك به إلا في ضوء السياق، أو الموقف الذي يستعمل فيه، ولعله كان أول لغوي أوربي يعرض للمعنى أو الدلالة من تلك الزاوية، ولعله أول أوربي كذلك يقدم تصورًا متكاملاً، ومتماسكًا لسياق الحال، ويحدد عناصره الأساسية التي شرحنا خطوطها العريضة، وهو الذي تنسب إليه كذلك النظرية السياقية بصفة عامة في العصر الحديث.

ثانيًا- مرحلة (هاليداي) وعلماء النص:

توسع اللغويون في هذه المرحلة في اتجاهين؛ يتصل أولهما بالتوسع في مفهوم السياق وتطبيقاته(١٩)، ويتصل ثانيهما بالتوسع في مفهوم الحدث اللغوي، والانتقال به من حيز الجملة إلى حيز النص كله، ونتج عن ذلك دخول لغويين كثيرين، مجال التحليل النصي، من فرنسا، وألمانيا، وانجلترا، وغيرها، وظهر الحديث عن جوانب دلالية جديدة كالمقصدية، والإحالة، والروابط، وغير ذلك.(٢٠)

ثالثًا- مرحلة (أوستن) والتداوليين:

يمكن القول: إن ظهور هذا الاتجاه كان بعيدًا عن تأثير (فيرث) و(هاليداي) في الأعم الأغلب؛ فقد نشأ في أحضان فلاسفة اللغة عمومًا، وفلاسفة مدرسة أوكسفورد خصوصًا، لكنه يلتقي معهما في البعد السياقي، والمقامي، والاهتمام بالمعنى أو الدلالة، كما أن حديث فيرث وهاليداي عن سياق الحال أو الموقف يكاد يطابق حديث أوستن عن الاستعمال أو التداول من جانب، ويلتقي مع كثير من خطوط التماس للفكر الدلالي العربي من جانب آخر، على نحو ما سنعرض له عند الحديث عن سيبويه وفكره التداولي.

<u>سياق الحال في الفكر العربي:</u>

نشأ الفكر اللغوي العربي في بدايته نشأة دلالية، تبحث عن المعنى والدلالة، وتحاول الوصول إلى مراد الله –عز وجل– من الآية، كما هو الحال عند المفسرين، كما اتجه إلى استخلاص الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة، كما هو الحال عند الأصوليين، وبعد ذلك سلك هذا الفكر مسلكًا لفظيًّا يحاول صون اللسان عن الخطأ واللحن، مع تقدمه وتطوره في الاتجاه الدلالي، والاهتمام بالسياق، والمعنى كما هو الحال عند اللغويين والنحاة، ثم تطور إلى البحث في أنواع المقامات، وما ينبغي لكل مقام من المقال، كما هو الحال عند البلاغيين والنقاد، وسيتضح ذلك فيما يلي:

سياق الحال عند المفسرين:

بدأ الاهتمام بالسياق، والالتفات إلى عناصره، ودوره في الوصول إلى المعنى، والبحث عن مراد الله من التنزيل الحكيم، بدأ هذا الاهتمام مبكرًا جدًا، لعله يتصل بزمن الرسالة نفسه، لمّا طمأن الرسول – صلى الله عليه وسلم– بعض صحابته الذين فزعوا إليه عندما نزلت آية كريمة، ذكر فيها لفظ (الظلم) في سياق وعيد شديد، فطمأنهم الرسول –عليه السلام– بأن المراد من هذا اللفظ هو ما سيقت له آية أخرى في سورة أخرى، مما استفاد منه المسلمون قاعدة أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضًا، وهي قاعدة تتصل

بالسياق اللغوي، طبقها الصحابة –رضي الله عنهم–، وتوسعوا فيها بهدي من الرسول الكريم –عليه السلام– كذلك عندما ذكر لهم أنه أوتي القرآن ومثله معه، مشيرًا إلى السنة المطهرة، فظفر المفسرون بقاعدة سياقية لغوية موسعة تضم النصوص إلى بعضها عند الحاجة إليها. (٢١)

ليس هذا فقط، بل إن الصحابي عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– انطلق من إشارة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– لكي يضم الشعر العربي بوصفه نصًّا يعين في تفسير القرآن الكريم؛ إذن سبق المفسرون جميع العلماء العرب الذين شغلوا بقضية الدلالة، وعناصر السياق.

يضاف إلى ذلك تعلق جهودهم في الدلالة والسياق بكلام الله –عز وجل– وبسنة رسوله الكريم –صلى الله عليه وسلم– وكانوا رائدين لكل من جاء بعدهم، وفي مقدمتهم علماء أصول الفقه.

وإذا حاولنا استيضاح الخطوط العامة لحديث المفسرين عن سياق الحال؛ تلمسنا ذلك في الفرعين الكبيرين للتفسير، وهما التفسير بالمأثور أو بالنقل، والتفسير بالرأي، أو العقل، ففي التفسير بالمأثور نعثر على مشاهدة الصحابة –رضي الله عنهم– أحوال النبي –عليه السلام– كما نعثر على أسباب النزول، ونصهم على المكي والمدني، والنهاري والليلي، وغير ذلك من عناصر غير لغوية اعتمدوا عليها في محاولة الوصول إلى مراد الله من الآيات.

أما التفسير بالرأي فلعل اللجوء إلى السياق، ولا سيما سياق الحال، كان أوضح في هذا الجانب؛ فقد كان ابن تيميه يرى أنه من اللازم على من يريد تفسير القرآن أن ينظر إلى المتكلم بالقرآن، وإلى المنزل عليه، والمخاطب به، وسياق الكلام، علاوة على ما يلزم معرفته من المكي والمدني، ومعرفة الناسخ والمنسوخ المؤسس على معرفة المكي والمدني، وعلى معرفة الزمان والمكان، إلى غير ذلك من عناصر.

يضاف إلى ما سبق نصهم في تعريف التفسير على كثير من عناصر سياق الحال، إذ هو: (كشف معاني القرآن، وبيان المراد منه، سواء أكانت معاني لغوية، أو شرعية، بالوضع، أو بقرائن الأحوال، ومعونة المقام). (٢٢)

بقي أن نسوق عدة أمثلة دالة على وعي المفسرين بسياق الحال قبل الحديث الخاص عن الزمخشري، ولعل في مقدمة هذه الأمثلة معرفة أسباب النزول الذي يعين على الفهم، فهم الآية أو الآيات،(٢٣) وقد يعدّل الحكم الشرعي في مسألة من المسائل، أو شعيرة من الشعائر.(٢٤)

يقول الإمام الشاطبي: "معرفة أسباب النزول لازمة لمن أراد علم القرآن، والدليل على ذلك أمران، أحدهما: أن علم المعاني والبيان الذى يعرف به إعجاز نظم القرآن الكريم، فضلاً عن معرفة مقاصد العرب، إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال، حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المُخَاطَب، أو المُخَاطِب، أو الجميع(٢٥)، ثم يعلل الشاطبي للسبب الذي يوجب العمل بأسباب النزول ذاكرًا: "أن الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك، كالاستفهام،...، وكالأمر،...، ومعرفة الأسباب دافعة لكل مشكل في هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال".(٢٦)

وبعد ذلك يؤسس للوجه الآخر قائلاً: "وينشأ عن هذا الوجه الثانى: وهو أن الجهل بأسباب النزول موقع فى الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال؛ حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع".(٢٧)

وقد لجأ الشاطبي إلى اعتبار الأحوال زمن الخطاب القرآني، وما عرف عن العرب من مشركي قريش، وما يعبدونه من دون الله بوصفه من عناصر سياق الموقف، يقول الإمام الشاطبى ردًّا على من فهم (الملائكة والمسيح) من قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾[٢٨] : "إن الخطاب ظاهرة أنه لكفار قريش، ولم يكونوا يعبدون الملائكة والمسيح، وإنما كانوا يعبدون الأصنام، فقوله: (وماتعبدون) عام فى الأصنام التى كانوا يعبدون، فلم يدخل فى العموم الاستغالي بالمساق، وعمله عما قصد فى الآيات".[٢٩]

هذا شيء قليل جدًا مما قدمه المفسرون عن بعض عناصر سياق الموقف، ونضيف إليه وعيهم بكثير من المصطلحات، وفى مقدمتها مصطلح السياق نفسه بوصفه دالاً على المقام، أو سياق الحال، ومرادفًا للقرائن.

ويعد الألوسي والبقاعي أكثر من استعمل مصطلح (السباق) و(السياق) من المفسرين، في مؤلفيهما: (روح المعاني)[٣٠]، و(نظم الدرر فى تناسب الايات والسور)[٣١].

ونظرًا لسبق المفسرين، وسعة البحث الدلالي عندهم، واهتمامهم المبكر بالسياق، والتفاتهم إلى جميع عناصره، نسرد هنا شيئًا من كلام الزمخشري:

١- **المتكلم:** أدرك المفسرون طبيعة المتكلم في هذا السياق، لأنه صاحب التنزيل العزيز سبحانه وتعالى، واشترطوا تمام المعرفة به، وبصفاته التي تحدث عنها القرآن الكريم، والسنة الشريفة، وعن طريق آثاره التي يدركها العقل في تأمل الكون، وعدوا ذلك أمرًا ضروريًا لفهم المراد من الخطاب القرآني، كما نزهوا النص القرآني عن أن يعتريه شيء مما يعتري الكلام البشري، كما نزهوه عن أن يكون المعنى فيه سخيفًا، وأوجبوا أن يقف المفسر تأدبًا أمام ألفاظ القرآن الكريم، وألا يقول بما لا يتفق وجلال المعاني القرآنية.[٣٢]

ووفقًا لما سبق قدم الزمخشري تفسيرات كثيرة، منها:

أ- تفسيره (أمرنا مترفيها) بأن المراد: أكثرنا مترفيها.[٣٣]

ب- تفسيره (الله يستهزئ بهم) بأن المراد: إنزال الهوان بهم وتحقيرهم.[٣٤]

ج- تفسيره (ختم الله على قلوبهم) بأن المراد: جعلها مفطورة.[٣٥]

٢- **المخاطب:** توسع المفسرون في هذا العنصر توسعًا كبيرًا، لكثرة المخاطبين بالقرآن الكريم ابتداءً بالرسول -صلى الله عليه وسلم- وصحابته، وعامة المسلمين، ثم العرب، وأهل الكتاب، والبشرية كلها.

وتتضح أهمية هذا العنصر من خلال مراعاة المتكلم له، وعدم إغفاله إياه عند التكلم، وعدم تصور خطاب بدون مستمع أو مخاطب، وعلاقة هذا المخاطب بالمتكلم، وعلاقته بالكلام.

صنف المفسرون المخاطب بالقرآن الكريم إلى أنماط كثيرة، ولو تأملنا ما ذكره الزمخشري في الكشاف لوجدنا ما يلي:

أ- الكلام عن الرسول -عليه السلام- مقرونًا بلفظ الجلالة، والمراد خطاب الرسول -صلى الله عليه وسلم- وذلك في آيات كثيرة.[٣٦]

ب- معظم خطابات الأمر إلى الرسول -عليه السلام- موجهة إليه، وإلى أمته كذلك. (٣٧)

ج- أي خطاب نهي للرسول -عليه السلام- موجه في الأساس إلى أمته؛ لأنه هو المأمور بالتبليغ، ولأنه معصوم.(٣٨)

د- معرفة سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- والإلمام بحياته ومواقفه، مما يعين على فهم كثير من الآيات القرآنية الواردة في هذا الشأن.(٣٩)

ه- أفعال الرسول -عليه السلام- مما يعين على فهم كثير من الآيات القرآنية.

وهناك كثير من الخطابات الموجهة إلى الصحابة، أو عامة المسلمين، أو أهل الكتاب، أو إلى البشرية كلها، بسط الزمخشري فيها القول.

٣- **عادات العرب، وعقائدهم:** من أعمق ما تنبه إليه الفكر اللغوي العربي الالتفات إلى العرب، أصحاب اللغة التي يدرسونها، ويحاولون الوصول إلى معاني استعمالاتها، ودلالات ألفاظها، ويتفرع عن ذلك مسائل أشار إليها الزمخشري، منها:

أ- عادات العرب وتقاليدهم، وقد فسر الزمخشري آية النسيء، وما يدور حولها في ضوء ذلك.(٤٠)

ب- عقائد العرب وعباداتهم، وقد فسر الزمخشري آيات كثيرة في ضوء ذلك، ومنها آية (خذوا زينتكم ..).(٤١)

ج- أخلاق العرب، وما اشتملت عليه من الأخلاق الكريمة، أو الأخلاق الذميمة، وقد فسر الزمخشري آيات كثيرة في ضوء ذلك. (٤٢)

د- أخبار العرب، وأيامها، وفي ضوئها فسر الزمخشري آية العنكبوت.(٤٣)

٤- **الاهتمام بالزمان والمكان:** أوجب المفسرون على المتعرض لفهم كتاب الله أن يعرف زمان النزول، ومكانه، ولذلك أفاضوا في الحديث عن المكي والمدني.(٤٤)

ومن آثار الاهتمام بالمكي والمدني، وتحكيم عنصر الزمان والمكان في فهم القرآن الكريم تفسير كلمة (الحق) في آية الأنعام بأنه ما كان يتصدق به على المساكين في يوم الحصاد؛ لأن ذلك كان في مكة، والزكاة فرضت في المدينة.(٤٥)

٥- **الأحداث المصاحبة للكلام، وأسباب النزول:**

حظيت الأحداث المصاحبة للنصوص القرآنية باهتمام المفسرين، واستقصوا فيها الغاية، حتى عدوها علمًا مستقلاً، وأطلقوا عليه (أسباب النزول)، مما عرف حديثًا بسبب الحدث الكلامي، كما عدوا العلم بها، والوقوف عليها من الواجبات التي ينبغي على المفسر الالتزام بها.(٤٦)

ومما استعان به الزمخشري به من أسباب النزول في فهم المراد نتيجة تصوير المقام تصويرًا صحيحًا، ما ورد في سورة الزخرف (آيتا ٥٧-٥٨)، وضرب المثل بعيسى بن مريم، وضم هاتين الآيتين إلى آية سورة الأنبياء (٩٨) حتى نفهم مجادلة ابن الزبعري لرسول الله -صلى الله عليه وسلم.(٤٧)

كما استعان به الزمخشري في إزالة الإشكال الذي يمكن أن يحدثه ظاهر النص القرآني، كما في آية (١٨٨) من سورة آل عمران.(٤٨)

سياق الموقف عند الأصوليين:

اتسع البحث الدلالي عند الأصوليين اتساعًا كبيرًا، ومتنوعًا، وتجلى هذا في ضخامة عدد الشيوخ من علماء الأصول، بدءًا من الإمام الشافعي (ت١٥٠هـ)، وختامًا بالشيخ حسن العطار (ت١٢٢٥هـ) ومعاصريه.

ومن جوانب الاتساع كذلك: ضخامة المؤلفات العلمية التى تركوها، والتي لم يخل فصل فيها، ولا مبحث من حديث عن الدلالة أو السياق، ولا سيما سياق الحال وكثير من عناصره.

ومن هذه الجوانب أيضًا: تعدد المذاهب، والمدارس الأصولية التي نشأت، وأسهمت في تطوير البحث الدلالي والسياقي.

ومنها: وعيهم المبكر بالسياق، ونصهم على اصطلاحاته، والتدقيق في كثير من جوانبه، وتقديم تفصيلات كثيرة، وفوائد وتطبيقات وافية تعكس الفهم لهذه التفصيلات، وتبرر الثمرات المفيدة للاشتغال بها والعمل بمقتضاها.

لقد فاق الأصوليون المفسرين فى هذا الجانب؛ لأنهم كانوا مفسرين واعين بمراد الله من تنزيله، وكانوا مؤصلين لأحكام الشريعة، وموضحين الطرق المختلفة لتطبيقات الفقهاء.

ونظرًا لما سبق كله من الاتساع، والضخامة، والتنوع، وصعوبة الإلمام بكل ذلك، نكتفي هنا بتقديم الخطوط العريضة لما قدمه هؤلاء عن سياق الموقف، وذلك فى النقاط التالية:

- حديثهم عن مفهوم السياق، وتعريفهم إياه، وذكرهم لدوره فى فهم المعنى المراد، ومسائل أخرى كثيرة فى هذا الباب.(٤٩)

- حديثهم عن سياق الحال، والقرائن، وأثر هذه القرائن فى صرف دلالة الأمر والنهي عن المعنى الحقيقي، وهو طلب الفعل، أو الترك على سبيل الإلزام إلى دلالات أخرى كثيرة، وكان حديثهم في هذا الجانب دقيقًا، وعميقًا، ومفصلاً وشاملاً لجزئيات كثيرة، يصلح كل منها لتأليف بحث مستقل(٥٠)، وإذا كان البلاغيون ذوي عناية بالغة بالمعاني التي تدل عليها الصيغ فى سياقاتها وقرائنها، وإذا كانت جهودهم المقدمة فى هذا المجال كبيرة ومشكورة، فإنهم لم يستطيعوا أن يقدموا في دراستهم للأمر والنهي ما قدمه الأصوليون من المعاني والدلالات التي كشفوا عنها لهذين الأسلوبين. (٥١)

سياق الحال عند البلاغيين والنقاد:

تنبه البلاغيون ونقاد الأدب إلى السياق، ودوره في الوصول إلى المعاني والدلالات، كما تنبهوا إلى أن له دورًا آخر أكثر أهمية في هذا المجال يتجلى في تحكيمه في صياغة النصوص وفق ما يقتضيه السياق، ولا سيما سياق الحال، ولهم عبارات مشهورة في هذا المجال، منها: لكل مقام مقال، كما لديهم التعريف الأشهر للبلاغة وهو: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"(٥٢)، مما يعني القول بما يوافق المقام.

والذي دفعهم إلى الاعتداد بالمقام وسياق الحال أسباب كثيرة، نذكر منها:

١- الألفاظ تتناهى، والمعاني لا تتناهى؛ لأنها متجددة بتجدد الحياة، وتنوع الخبرات، والمشاعر، يذكر الجاحظ أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ؛ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية. (٥٣)

٢- التفاتهم إلى أمثلة كثيرة واقعية من المواقف الكلامية لم يطابق فيها الكلام مقتضى الحال، عندما كان بعض الشعراء يخونه التوفيق في مراعاة المقام. (٥٤)

٣- سعيهم إلى رسم الطريق الصحيح للأدباء والشعراء والكُتَّاب؛ حتى يطابق كلامهم مقتضى الحال الملائم لهذا الكلام.

٤- اشتغالهم بنقد النصوص، وفحصها؛ لاستخراج معانيها، ولبيان درجاتها من الإجادة والبلاغة.

٥- سعيهم إلى توضيح مراتب الكلام، ودرجاته من الفصاحة والبلاغة، والتمييز بين هذه الدرجات؛ حتى تستبين مواضع الإعجاز التي يختص بها كلام الله العزيز.

تتجه الخطوط العريضة في الحديث عن الفكر البلاغي والنقدي بخصوص السياق إلى جانبين:

الجانب الأول: نركز فيه على بعض ما ذكره الجاحظ بوصفه من أوائل النقاد والأدباء والبلاغيين في هذا الشأن، وتتضح إشاراته السياقية في النقاط التالية:

- حديثه عن (محدودية) اللغة، وتناهي ألفاظها، (وانفتاح) المعاني والدلالات، وعدم تناهيها.

- حديثه الأساس، والمؤصّل لأصناف الدلالات، أو بتعبير حديث: أصناف العلامات الدالة على المعاني، من: لفظ، وإشارة، وعقد، وخط، وحال، أو ما سماه: نصبة.

ومن يتأمل هذه العلامات يجد أن اثنين منها ينتميان إلى ما يسمى السياق اللغوي، وهما: اللفظ والخط، كما يجد أن الثلاث الباقيات تنتمي إلى السياق غير اللغوي، أو سياق الحال، وهي: الإشارة، والعقد، والنصبة. (٥٥)

- حديثه عن بشر بن المعتمر، وصحيفته التي رسم فيها طريقًا واضحة للأدباء، والمتكلمين بصفة عامة؛ كي يطابق كلامه مقتضى الحال، والمقام. (٥٦)

- حديثه عن الملاءمة بين طبقات المعاني، وطبقات الألفاظ الدالة عليها؛ انطلاقا إلى تطبيق مبدأ (لكل مقام مقال)، وذلك في معرض كلامه عن المناسبة بين المقال والمقام، فيزيد على كلام بشر إضافة جديدة تتعلق بالتفريق بين مقام حديث الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء، والمقامات الأخرى من أحاديث العامة والسوقة، ثم يقرر أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني ... إلخ. (٥٧)

الجانب الثاني: يتمثل في رصد النقاط الأساسية المتعلقة بعناصر سياق الحال من متكلم ومخاطب وغير ذلك، فإذا حاولنا استجلاء عناصر سياق الحال في فكر البلاغيين والنقاد وجب علينا الانطلاق من فكرة (المطابقة)، مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، تلك المطابقة التي تنبع مما يأتي:

- قصدية المتكلم ومراده من الكلام، ووضعيته في الخطاب، وقد درس البلاغيون كثيرًا من المسائل والموضوعات تحت هذا العنصر، منها: فكرة الصدق والكذب، والخبر والإنشاء، ومطابقة المعنى أو مخالفته لما يسمى الاعتقاد، اعتقاد المتكلم، .. إلى آخر هذه الموضوعات. (٥٨)

- وجود المخاطب، ومراعاة حاله، وما يتصل به من علاقته بالمتكلم، ومكانته أو منزلته منه، ومدى وعيه بقصد المتكلم، وأثر الكلام في نفسه. (٥٩)

– مواضعات الكلام، والأعراف المستقرة في استعمال اللغة، وما يقوم مقامها أحيانًا في التعبير عن قصد المتكلم بما يفهمه المخاطب، وما اعتاده من طرق الإبانة عن المعنى.(٦٠)

– الوعي بالمخاطب الذي يحتل مكان الصدارة في اهتمام البلاغيين والنقاد العرب؛ لأسباب كثيرة جاءت كلها نتيجة الانشغال بالمقام، وبمطابقة الكلام له، والانشغال بأجناس تعبيرية تعنى بمقامات المخاطبين، وأحوالهم، وتسخر كل عناصر التخاطب لصالحهم.(٦١)

– تصنيف الكلام والغرض منه إلى الفائدة، ولازم الفائدة، أو الحقيقي والمجازي البلاغي .. إلخ.

– الوعي بالعوارض السلبية التي تكتنف الموقف، وترتد إلى أحد عناصره، أو إلى معظم هذه العناصر، ونشأ عن هذا الوعي حديثهم عن مجموعة من الظواهر التي تعترض البيان، أو تفسد المطابقة، ومنها: مايعترض الكلام من العيوب والنواقص، أو الخلو من وسائل الإفهام والإقناع، أو عدم إنزال المخاطبين منازلهم، أو ما يعرض للمتكلم –حين الكلام– من عوارض تفسد الموقف الاتصالي، مثل: كثرة العرق، والرعدة، والارتعاش، وغيرها.(٦٢)

– هيمنة المقامات الخطابية على الفكر البلاغي العربي؛ نتيجة اهتمامه بالتواصل المباشر من خطابة، وإنشاد شعر، ونصائح ووصايا .. إلخ.(٦٣)

– **سياق الحال عند اللغويين والنحاة:**

درس اللغويون والنحاة العربية بتأثير دوافع كثيرة، منها الديني، ومنها القومي، ومنها السياسي، ومنها الحضاري والاجتماعي؛ فكان عملهم موفقًا ومسددًا.

اتجه اللغويون إلى جمع اللغة من أفواه البدو والأعراب، سمعوها منهم مشافهة فكان السياق اللغوي، ولاحظوا استعمالها بينهم، وراقبوا المعاني والدلالات التى يتبادلونها ويتداولونها، فكان السياق غير اللغوي، أو سياق الحال.

نفهم من ذلك أن الدرس اللغوي والنحوي بدأ درسًا عمليًا واقعيًا، سياقيًا وموقفيًا، يؤكد ذلك أن أول عمل لغوي كامل وصل إلينا ينتمي إلى هذه الفترة، هو كتاب (العين) للخليل بن أحمد (ت١٧٠ أو ١٧٥هـ)، كما أن أول عمل نحوي صرفي كامل وصل إلينا كذلك ينتمي إلى الفترة نفسها، هو كتاب سيبويه (ت١٨٠هـ).

نبدأ بالحديث عن التفات اللغويين إلى سياق الموقف، وتحكيم عناصره في دراساتهم اللغوية، ويتجلى ذلك في النقاط الآتية:

- الاهتمام الكبير بالمتكلم، أو صاحب اللغة، فقد اشترطوا في العربي الذي يأخذون عنه اللغة شروطًا صارمة، زمانية ومكانية واجتماعية ولغوية واضحة ومحددة، خلاصتها أن يكون أعرابيًا بدويًا لم تفسده الحضارة.
- وهم في سبيل ذلك اهتموا أيضًا بالمخاطب، أعرابي آخر يدير المتكلم معه الخطاب، ويتداوله في محيط مكاني، وبيئة زمانية في مشهد من الحاضرين الذين يرون أثر الكلام الفعلي.
- كان هذا الموقف يتكرر كل يوم أمام الرواة واللغويين، والنحاة كذلك، سواء كان ذلك

في البادية، بادية تميم أو قيس أو سعد أو الحجاز أو طيء، أم كان ذلك في البصرة أو الكوفة، وظل الأمر مستمرًا أكثر من مائة عام، حتى تم جمع اللغة العربية مباشرة من أفواه ناطقيها، وتحقق في أثناء هذا الجمع توفر جميع عناصر السياق اللغوي، والسياق غير اللغوي، هذا أول ملمح من ملامح الالتفات إلى سياق الموقف عند هذا الفريق.

- أما الملمح الثاني في عمل اللغويين فهو الدراسة، والتصنيف للألفاظ التي جمعوها، فقد رتبها بعضهم وفق الموضوعات والمجالات سابقيين بذلك علماء الدلالة التركيبيين، وأصحاب نظرية الحقول الدلالية والتحليل التكويني، بدأ ذلك بالرسائل الصغيرة حسب الموضوعات، ثم تم جمعه في عمل عام كبير، هو الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام، لينتهي إلى المخصص لابن سيده.
- أما الجانب الثاني فقد تم الترتيب فيه وفق الألفاظ مبدوءًا بها، ومنتهيًا بذكر معانيها، وقد تم هذا العمل مبكرًا جدًا في صورة كتاب (العين) للخليل.
- والذي يهمنا أن الخليل لجأ إلى السياق اللغوي، والسياق غير اللغوي في شرح معاني مفرداته داخل المعجم كله راسمًا طريقًا واضحة أمام جميع اللغويين اللاحقين من استعمال جميع طرق الشرح للمعنى، سواء ما كان ينتمي إلى السياق اللغوي من هذه الطرق أم ما كان ينتمي إلى سياق الموقف.
- نأتي إلى الملمح الثالث في عمل اللغويين، وهو ما يمكن أن نسميه البحوث والدراسات المتخصصة التي تلتفت إلى موضوع السياق، وتوضح كل ما يتصل به، وقد جاءت تفصيلات هذا الملمح على يد الأجيال التالية من اللغويين، وعلى رأسهم ابن جني الذي نستطيع أن نرصد عنده الخطوط الآتية:

تبلورت عنده فكرة السياق بصفة عامة، وسياق الحال بصفة خاصة، ومن أمثلته هنا:

- تقول: سألناه فوجدناه إنسانًا! وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني عن وصفه بقولك: إنسانًا سمحًا أو جوادًا أو نحو ذلك.

- وكذلك إذا ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنسانًا! وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنسانًا لئيمًا أو لحزًا أو مبخلاً أو نحو ذلك. (٦٤)

وما يمكن قوله: إن الكلام قد يحمل سياق موقفه بألفاظ؛ لأن الكلام الذي نشاهد منه ظروف الأداء، ونستوضح فيه من مشاهدة الأحوال ما لا يمكن أن يحصله أكابر العلماء؛ غيّبت عنهم هذه الظروف، يقول ابن جني: "ألا تستفيد بتلك المشاهدة، وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات، ولا تضبطه الروايات ...". (٦٥)

وإذا كانت الحال أو المشاهدة على هذا المقدار من الأهمية في الإبانة وتوخي المراد، فإن ذلك يفسر قول أحدهم: "أنا لا أحسن أن أكلم أحدهم في الظلمة".

إذا تركنا اللغويين ومعاجمهم، ومؤلفاتهم وأبحاثهم المتخصصة حول سياق الموقف، وجئنا إلى النحاة وجدنا إمامهم سيبويه يقف شامخًا عملاقًا بفكره، وشموليته وكتابه الذي كان له التأثير الطاغي في جميع اللاحقين له؛ فقد أخذوا عنه، وأفادوا منه، وظهرت أمثلته وآراؤه واضحة على صفحات مؤلفاتهم، ومن ضمن ما تأثروا به فيه حديثه، ومعالجاته لسياق الموقف بعناصره المختلفة.

وقبل أن نعرض لحديثه عن سياق الموقف نذكر ملاحظة لا تخطئها العين، وتتمثل في شيوع عبارة القرائن المقالية، والقرائن الحالية في معظم كتب النحو عند الحديث عن

نقاط نحوية، أو استعمالات للحذف، أو التقديم تمت حسب ما يمليه السياق، وكانت هذه العبارات دالة ومفيدة، يظهر ذلك من تأمل ما يلي:

ذهب الرماني إلى أن مراعاة الموقف تتحكم في الحذف في باب التحذير؛ لأن التحذير مما يخاف منه وقوع المخوف، فهو موضع إعجال، لا يحتمل تطويل الكلام.(٦٦)

ومثل هذا الموقف ومما سُوِّغ حذفه اعتياد العرب الحذف في وقوفهم على الأطلال، وذكر الديار حتى صار كالمثل من مثل قول ذي الرمة: (٦٧)

ديار مية إذ مي مساعفة ولا يرى مثلها عُجم ولا عرب

وقول عمر بن أبي ربيعة:

اعتاد قلبك من سلمى عوائده وهاج أهواءك المكنونة الطلل

ربع قواء أذاع المعصرات به وكل حيران سار ماؤه خضل

وإنما ساغ الحذف في مثل هذا؛ لارتباطه بموقف الطلل، وذكر الديار، وللمناسبة أيضًا.(٦٨)

بعد ذلك نعرض لجوانب مفصلة من جهود سيبويه، فيما يأتي:

إشاراته إلى عناصر السياق:

من يتأمل كتاب سيبويه يعثر على كثير من الألفاظ المشيرة إلى عنصر من عناصر السياق المقامي، او سياق الحال، ولعل الإحصاء الذي ذكرته إحدى الباحثات عن تردد هذه الألفاظ في صفحات الكتاب ما يؤكد الفكرة، ذلك الإحصاء الذي يتضمن ما يلي:

١- حال (بمعنى مقام): (٣٦٨) مرة.
٢- مخاطب: (٨٦) مرة.
٣- التبس بـ: (٦٤) مرة.
٤- استعمال: (٥٢) مرة.
٥- التباس: (٤٣) مرة.
٦- حديث (بمعنى خبر أو إخبار): (٣٥) مرة.
٧- مستعمل: (٣٢) مرة
٨- نية: (٢٧) مرة.
٩- متكلم: (٢٣) مرة.
١٠- أخبر عن: (١٦) مرة.
١١- نوى: (١٣) مرة.
١٢- ملتبس: (١١) مرة.
١٣- مخاطبة: (١١) مرة.
١٤-خاطب: (١٠) مرات.(٦٩)

ويعثر المتأمل لكتاب سيبويه أيضًا على شرحه الطرق التي يسلكها المخاطب؛ ليصل إلى المعنى الذي يقصده المتكلم من استعمالاته اللغوية المختلفة، ولذلك أمثلة كثيرة مبثوثة في صفحات الكتاب.(٧٠)

– قد يلجأ المتكلم إلى حذف بعض عناصر الجملة، وسوق الكلام ناقصًا، لكنه مفهوم من المخاطب؛ اعتمادًا على عمل هذا المخاطب، وتصرفاته، وملابسته تلك الأعمال، من الضرب، أو الشتم، أو القتل.(٧١)

– وقد يلجأ المتكلم إلى حذف حرف النداء اعتمادًا على رؤية المخاطب مقبلاً.(٧٢)

– وقد يعتمد المتكلم على الخبرة، أو المعرفة المشتركة بينه وبين المخاطب، فيلجأ إلى قطع النعت؛ لإفادة المدح، أو الذم، أو الترحم.(٧٣)

– وقد يعتمد المتكلم على علم المخاطب فيلجأ إلى الإيجاز، والاختصار؛ بناءً على الإدراك السابق لمقصد الكلام.(٧٤)

الحمل على المعنى:

من الدلائل الواضحة على وعي سيبويه بسياق الحال، وما يشتمل عليه من عناصر؛ كلامه وتطبيقاته على ما يسمى (الحمل على المعنى)، ذلك الموضوع الذي عرض له سيبويه من زاوية عادات العرب في كلامها، وطريقتهم في أداء معانيهم.

فمن ذلك استغناؤهم بالمفرد عن المثنى، أو الجمع، يقول سيبويه: "وليس بمستنكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحدًا والمعنى جميع"(٧٥)، كما في أمثال: رهط، ونفر، وذود، ففي التنزيل: ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾(٧٦)، ويقول سيبويه كذلك: "والعرب قد تطلق الجمع على المفرد باعتبار الأجزاء على ذلك المعنى فيه، ...".(٧٧)

ومن عادات العرب في كلامها: تذكير المؤنث، وتأنيث المذكر، ويدخل تحته (عود ضمير المذكر على المؤنث، وعود ضمير المؤنث على المذكر)، ومن أمثلة ذلك تذكير ضمير لفظ (الدار) إذا كانت في معنى المنزل، أو المكان(٧٨)، ومن أمثلته أيضًا: الإخبار عن المؤنث بالمذكر، كقوله تعالى: چ □ □ □□ □ □ □ □ چ(٧٩)، حملاً على معنى النسب.(٨٠)

وهناك مسائل أخرى كثيرة، مبثوثة في صفحات الكتاب ينتمي كثير منها إلى الظواهر الصرفية في بناء الجملة، وينتمي بعضها إلى الظواهر الصرفية في بناء الكلمة(٨١)، وكلها تظهر وعي سيبويه بعناصر السياق غير اللغوي، أو سياق الحال.

أثر سيبويه في الأصوليين:

نذكر هنا جوانب من تأثير سيبويه في دراسات الأصوليين الذين جاؤوا بعده، وفقهوا آراءه، وجهوده في دراسة اللغة العربية بصفة عامة، وفي استنباط الدلالة بصفة خاصة، وجهوده حول سياق الموقف بصفة أخص.

نشأ اهتمام علماء أصول الفقه بالعربية، وبما قاله علماء العربية عنها من كون القرآن الكريم: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾(٨٢)، فلا سبيل إلى فهم هذا القرآن إلا بفهم العربية، والوقوف على أسرارها.(٨٣)

ونظر الأصوليون فلم يجدوا أعمق من سيبويه، ولا أشمل من كتابه، يأخذون منه، ويعتمدون عليه في أبحاثهم الأصولية المتعلقة باللغة والدلالة، وسوف نسرد نقاطًا عامة للمسائل التي تأثر فيها الأصوليون بسيبويه، وذلك فيما يلي:

١- حرصهم على بيان قيمة الكتاب لسيبويه، وعبقرية تأليفه، ودقة مباحثه.[٨٤]

٢- اعتماد كثير منهم على آراء سيبويه في المباحث اللغوية المشتركة بين علم أصول الفقه، وعلم العربية.

٣- احتجاجهم بمذهبه، وترجيحهم لبعض مسائلهم وفق آرائه، وسارت هذه النقطة مسارات كثيرة جدًا، نكتفي بذكر بعض عناوينها، ومواضعها في الكتاب فيما يلي:

أ- مسألة الإخراج في الاستثناء، وما إذا كان الإخراج في هذا الاستثناء من الاسم، أو من الحكم، أو منهما؟[٨٥]

ب- دلالة النكرة على العموم في سياق النفي، وما إذا كانت نصًا في العموم، أم أن العموم ظاهر يحتمل التأويل؟[٨٦]

ج- وقوع المضارع مرفوعًا في جواب الشرط، وتأسيس مسائل في الطلاق على رأي سيبويه في ذلك.[٨٧]

د- موضوع المشترك اللفظي، ووقوعه في العربية بين القبول والمنع.[٨٨]

ه- موضوع وظائف أدوات المعاني، ذلك الموضوع الذي تتأسس مجموعة من المسائل الفقهية على كل وظيفة من وظائف كل أداة، أو حرف من حروف المعاني حسب ما هو مبسوط في كتب أصول الفقه، من مثل: إذن، وإلى[٨٩]، وغير ذلك، كاللام، وأو، وكل، والواو، ... إلخ.

الجوانب التداولية عند سيبويه:

نصل أخيرًا إلى مواضع التلاقي بين سيبويه والتداولية ومبادئها، ومن الممكن تتبع الجوانب التداولية، التي لها تعلق مباشر بسياق الحال في النقاط والمجالات الآتية:

١- اعتماد قصد المتكلم؛ لأن استعمال اللغة لا ينعقد، ولا يعتد به في السياق والموقف إلا إذا حصل من الناطق إرادة واعية، وقصد معلوم في توجيه الكلام إلى غيره، ويزخر كتاب سيبويه بكثير من المسائل النحوية المعروضة حسب هذا الركن من سياق الموقف، أو وفق هذا المبدأ التداولي.[٩٠]

٢- اعتماد مبدأ الإفادة، وهذا المجال ناتج عن السابق، ومترتب عليه، كما أنه يراعي حال المخاطب، وظروف الكلام، وفي الكتاب مواضع كثيرة لمراعاة هذا الجانب من السياق، أو هذا المبدأ التداولي.[٩١]

٣- الاعتداد بالاستدلال والفعل الحجاجي، وقد درس سيبويه كثيرًا من المسائل وفق هذا المبدأ، وفي مقدمتها استعمالات الاستفهام، وأغراضها الحجاجية.[٩٢]

٤- الالتفات إلى الاستلزامات الحوارية، والافتراضات المسبقة، ومن أمثلة هذا المبدأ ظاهرة الحذف، والاختصار في الكلام اعتمادًا على فهم المخاطب، وأمن اللبس، وقدرة هذا المخاطب على الوقوف على غرض المتكلم.[٩٣]

٥- الاعتداد بالمكون الكلامي، وما يتصل بأفعال الكلام، أو القوى الإنجازية التي تفهم من استعمالات اللغة في سياق الموقف، وظروف إرسال الكلام.

وقد ناقش سيبويه في كتابه كثيرًا من الاستعمالات التي تخضع لهذا المبدأ التداولي، وهو ما عرف في الدراسات النحوية والبلاغية بالأغراض المختلفة للخبر والإنشاء.[٩٤]

الاحتكام إلى الواقع اللغوي، والممارسة الاجتماعية، ولعل هذا المبدأ التداولي يكاد يسري في معظم مرويات الكتاب وظواهره المدروسة؛ لأن سيبويه كان ينتمي، هو وكتابه وما اشتمل عليه من مادة لغوية، ومرويات، إلى فترة الاحتجاج، وعصر الاستشهاد، ولهذا السبب كان تعامل سيبويه مع مادته التحليلية خاضعًا للاحتكام إلى واقع هذه الاستعمالات الحية المأخوذة مباشرة من محيطها وبيئتها الاجتماعية، وفي هذا المبدأ تلتقي الفكرة التداولية والفكرة السياقية، حيث اتصل سيبويه بالواقع اللغوي، وهو بصدد التعامل مع المرويات، واحتكم إليه في العديد من مواضع كتابه، فكان يصف المواقف الاجتماعية التي تستعمل فيها اللغة، وكان يوضح المواقف الاجتماعية التي تستعمل فيها اللغة، وكان يوضح ملابسات الاستعمال، والسياق الاجتماعي الذي يكتنف هذا الاستعمال.[٩٥]

الخاتمة:

يرصد البحث مجموعة من النتائج التى توصل إليها، وتتمثل فيما يلى:

- التمييز بين مراحل البحث الدلالي عند الغربيين، ونظرتهم إلى السياق، تلك المراحل عند فيرث، وهاليداى، وأوستن.
- وجوب الالتفات إلى التنوع المفاهيمي لكثير من المصطلحات الواردة فى مجال البحث، ومنها: السياق، وأنواع السياق، وعناصره.
- السبق التاريخي لما قدمه الفكر العربي عن السياق اللغوى وغير اللغوي، وما يتصل به من عناصر.
- الأصالة، والعمق، والواقعية للبحث الدلالي عند العرب.
- تعلق البحث الدلالي والسياقي عند المفسرين، وعلماء أصول الفقه بالنص الديني الإلهي، وهو القرآن الكريم، ومعه السنة الشريفة.
- اتساع الحديث عن السياق بصفة عامة، وسياق الحال بصفة خاصة، وتنوع المجالات والاهتمامات، مما ينبغي تفصيله فيما يلى:

- كثرة التخصصات المهتمة بسياق الحال، والمهمة فى تعميق البحث فيه: (مفسرون، أصوليون، بلاغيون، نقاد أدب، لغويون، نحاة، .. وغيرهم).
- تنوع الأهداف والأغراض بتنوع التخصصات والاهتمامات.
- اتساع مفهوم السياق يشمل الجوانب الوصفية التحليلية، والجوانب المعيارية التقعيدية، والجوانب الفنية التذوقية.
- انفراد كل عالم، أو مفكر على حدة بالصلاحية لأن يكتب عنه بحثًا مستقلاً، عن سياق الحال، وربما تصل جهود بعضهم للدرجة التي يكتب فيها بحثين فأكثر.

- يستخلص من هذه النتائج رجحان كفة الفكر العربي على الفكر الغربي في هذا المجال.

Abstract

The context of the case between Arab thought and Western thought

by Wafaa Abaas Hassan

The research focuses on making a comparison between the Arabic and Western thoughts, to illustrate the authenticity of the Arabic thought, its Pre-empt and realistic vision which is related with Arabic texts, and to find a legitimate justifications and literary and linguistic analysis.

The paper introduced a definition of "Context of situation" and its

importance. The paper discussed and detailed as well the "Context of situation" in the western thoughts. The author elaborated the discussion about the context in the Arabic thoughts by Al-Mofasseren, O'lmaa' Osol El-fiquh, linguists, Grammarians writers, Rhetoric scholars and Critics. The research reached a conclusion that summarized the points of balances between both thoughts and showed the brightened sides in the Arabic thoughts about "the Context of situation" by its both linguistic and non-linguistic sides.

الهوامش

(١) انظر: مقاييس اللغة: ١١٧/٣، الصحاح (س و ق)، لسان العرب: (س و ق)، أساس البلاغة: (سوق)، المعجم الوسيط: (سوق).

(٢) انظر: الخصائص: ٢٨٣/١، دلالة السياق، للدكتور: ردة الله: ٤١

(٣) انظر: غريب الحديث، لأبي عبيد: ٣١/٣

(٤) البيان والتبيين: ١١٦/١، الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٩، ٤٠، ٩٠، ١٣٠، تعريفات الجرجاني: ٧٩، الجني الداني: ٣، ٧٠، .. إلخ.

(٥) تأويل مشكل القرآن: ١٣

(٦) تأويل مشكل القرآن: ١٣، حاشية الصبان: ١٨٦، وصفحات أخرى.

(٧) الخصائص: ٢٤٦/١، الفوائد العجيبة: ٤٤/١

(٨) الإيضاح: ٣٢٨/١، الفوائد العجيبة: ٦٧/١، شرح الرضي على الكافية: ٣٤٣/٢

(٩) الإيضاح: ٧/١، الخصائص: ٢٦/١

(١٠) الإيضاح: ٣٢٨/١، الفوائد العجيبة: ٦٧/١، مفتاح العلوم: ١٣٦، ١٣٧

(١١) الإيضاح: ٨٧/١، مفتاح العلوم: ٩٠، ٩٨، إلخ.

(١٢) انظر: دراسات في علم اللغة: ١٢٩، علم الدلالة، لفرانك بالمر: ٦٩

(١٣) انظر: مناهج البحث في اللغة: ٢٩٥، دراسات في علم اللغة: ١٢٩، اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٣٧، علم الدلالة، لبالمر: ٧٤، علم الدلالة، لأحمد مختار عمر: ٦٩

(١٤) انظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، للسعران: ٣١١، ٣١٣، علم الدلالة، لأحمد مختار عمر: ٧٠

(١٥) انظر: دراسات في علم اللغة: ١٢٩

(١٦) ويحدث هذا في جميع الاستعمالات التي يطلق عليها الأسلوب العلمي، أو اللغة العلمية التي تستعمل فيها الكلمات والجمل في معانيها الحقيقة المباشرة، وفي بعض المواقف الحياتية التي تتطلب مجرد (توصيل الأفكار).

(١٧) اقتصر المفسرون –في أغلب سياقات القرآن– على متكلم واحد، هو الله سبحانه وتعالى، صاحب التنزيل العزيز.

(١٨) كانت هذه اللمحة من مالينوفسكي إشارة إلى ما سماه أوستن أفعال الكلام، أي المنطوقات الأدائية، أو العملية، مما أشار إليه العرب القدماء في عبارات العقود، والبيوع، والمعاملات من الإيجاب والقبول.

(١٩) يبرز التوسع في مفهوم السياق، وتطبيقاته في كثرة التقسيمات والمصطلحات المقدمة في هذا الشأن، ومن يطالع أعمال النص يعثر على عدة تقسيمات، حيث يقسمها بعض علماء النص السياق إلى ما يلي:

١- السياق التداولي، وهو النص بوصفه فعلاً كلاميًّا.

٢- السياق الإدراكي، أو المعرفي، وهو فهم النصوص.

٣- السياق النفسي الاجتماعي، وهو تأثير النصوص.

٤- السياق الاجتماعي، وهو علاقاته باستعمال اللغة.

٥- السياق الثقافي، وهو اعتبار النص ظاهرة ثقافية. (انظر: النص، بنياته ووظائفه: ٧٦-٧٧)

واقترح آخرون تقسيمًا رباعيًا، هو: السياق اللغوي، والسياق العاطفي، وسياق الموقف، والسياق الثقافي، ومن ذلك نفهم خلط بعض الباحثين المبتدئين بين هذه المصطلحات، والتعامل معها كما لو كانت ممثلة لاتجاه واحد، أو مجال واحد.

(٢٠) بعد انتقال علماء النص في أوربا من التركيز على الجملة فقط إلى النص عرضوا لموضوعات كثيرة عدُّوها، وعدَّها معهم دارسون عرب، فتحًا جديدًا، وضخمًا في التحليل اللغوي بصفة عامة، والتحليل الدلالي بصفة خاصة، وننبه في هذا المقام إلى أن ما قدموه كله قد سبقهم إليه القدماء من العرب المسلمين في دراساتهم القرآنية والأصولية التي عدَّت القرآن الكريم نصًّا واحدًا متماسكًا يفسر بعضه بعضًا، بل تفوقوا عندما ضموا إلى هذا النص نصًّا آخر هو السنة النبوية الشريفة.

(٢١) لما نزلت الآية (٨٢) من سورة الأنعام، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ مضمونها على بعض الصحابة، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال عليه السلام: "إنه ليس بذاك، ألا تسمع إلى قول لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾﴾ لقمان: ١٣، ومعنى الحديث في (سنن الترمذي، أبواب القرآن: ٢٢٧/٤).

(٢٢) انظر: الاتقان: ١٩٥/٤، البرهان في علوم القرآن: ١٠٥/١

(٢٣) انظر: البرهان: ١٢٣/١

(٢٤) تأمل كلام السيوطي في (الاتقان: ١٦٩/١) وهو يعرض لسبب نزول الآية ١٥٨ من سورة البقرة.

(٢٥) الموافقات: ٣٠٢/١

(٢٦) الموافقات: ٣٠٢/١

(٢٧) الموافقات: ٣٠٢/١

(٢٨) سورة الأنبياء: آية ٩٨

(٢٩) الموافقات: ٢٧٩/٣

(٣٠) انظر: روح المعاني: ١٢٥/١، ٤٦١، ١٨٦/٤، ٣٤٣، ١٠/٥، ٢٠٢، ٣٣٠، ٤٨٧، ٢٠٦/٦، ٣٧٠، ١٢٠/٧، ٢٧/٨، ٤٠، ٧٢، ٧٨، ١٥٤/٩، ٥١/١٠، ١١٧، ٣٠٤.

(٣١) انظر: نظم الدرر: ٢٤٧/٥، ٣٢٢، ١٠٤/٧، ٤٤٠/٨

(٣٢) ولعل ما سبق كله يشرح لنا مراعاة قصد المتكلم، والبحث عن مراد الله من الآية، أو الآيات، والمفسرون في هذا المجال فرقوا تفريقًا حاسمًا بين تأويل الآيات القرآنية، ومحاولة فهم المراد منها، وقد نال هذا الجزء من السياق عناية المفسرين، واهتمامهم. (انظر: الكشاف: ٤٥٧/٢)

(٣٣) الآية (١٦) من سورة الإسراء، انظر: الكشاف: ٦٥٤/٢

([٣٤]) الآية (١٥) من سورة البقرة، انظر: الكشاف: ٦٦/١، وانظر كذلك: الآية (١٤) من سورة السجدة، والآية (١٤٢) من سورة النساء، والآية (١٢) من سورة الصافات، وذلك في الكشاف: ٣٧/٤-٣٨.

([٣٥]) الآية (٧) من سورة البقرة، انظر: الكشاف: ٥١/١-٥٢.

([٣٦]) من هذه الآيات التي يراد فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الآية (٥٩) من سورة التوبة، والآيتان (٣٦) و(٥٧) من سورة الأحزاب، انظر: الكشاف: ٥٤٠/٣.

([٣٧]) منها الآية (٧٩) من سورة النساء، انظر: الكشاف: ٥٣٨/١، ٦٠/٢، ٤٧٩/٣.

([٣٨]) منها الآيتان (٦٠) و(١٩٦) من سورة آل عمران، انظر: الكشاف: ٤٥٧/١.

([٣٩]) الآية (١٤٤) من سورة البقرة، انظر: الكشاف: ٢٠٢/١.

([٤٠]) الآية (٣٧) من سورة التوبة، انظر: الكشاف: ٢٧٠/٢.

([٤١]) الآيتان (٣١-٣٢) من سورة الأعراف، انظر: الكشاف: ١٠٠/٢.

([٤٢]) من هذه الآيات: الآية (٢٧٤) من سورة البقرة، والآية (١٩) من سورة النساء، والآية (٢٦) من سورة الإسراء، والآية (٨) من سورة المؤمنون، انظر: الكشاف: ٤٩٠/١.

([٤٣]) الآية (٦٧) من سورة العنكبوت، انظر: الكشاف: ٤٦٤/٣.

([٤٤]) تعددت الطرق في التمييز بين المكي والمدني، ولكن أشهرها ما يذهب إلى أن المكي ما نزل قبل هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة، وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وينقل السيوطي تفضيلات في هذا الموضوع عن أبي القاسم النيسابوري.(انظر: الإتقان: ٣٤/١)، وأوصلها الزمخشري إلى خمسة وعشرين وجهًا، ويذكر بعدها شرطًا هامًا، وهو: "ومن لم يعرفها، ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى".(انظر: الكشاف: ١٤١/٣)

([٤٥]) انظر: الكشاف: ٧٢/٢

([٤٦]) انظر: أسباب النزول، للواحدي: ٨، فصول في علم الدلالة، لفريد حيدر: ١٢٤، الإتقان: ٢٨/١، الموافقات: ٣٤٨/٣.

([٤٧]) انظر: الكشاف: ٢٥٧/٤-٢٥٨.

([٤٨]) انظر: الكشاف: ٤٥/١.

([٤٩]) ورد مصطلح (السياق) عند الإمام الشافعي في الرسالة، وقد تناول بعض وظائفه الدلالية في (باب الصنف الذي يبين سياقه معناه) صـ٥٢، ثم ذكره في عدة مواضع أخرى، منها صـ٥٢، وكانت إشاراته غاية في البيان، وهي على وجازتها واضحة جلية في بيان أهميته، والتعويل عليه مرجعًا مفسرًا لفهم دليل الشرع، وذكره كل من الجويني، والبزدوي، والسرخسي في معرض الكلام عن دوره في صرف دلالة الأمر عن حقيقته إلى الزجر والتوبيخ والإنكار، وغير ذلك. (البرهان في أصول الفقه: ١٨٥/١، ٢٥٣، كشف الأسرار: ١٨٧/٢، أصول السرخسي: ١٦٤/١ ... إلخ)، ثم توسع في ذكره، واستعماله، والإفادة منه كثير من الأصوليين بعد ذلك، يأتي على رأسهم الغزالي، والشاطبي على نحو ما سوف يتضح لنا في البحث.

([٥٠]) ذكر الأصوليون للأمر ثلاثين دلالة أو معنى، وذكروا للنهي خمسة عشر معنى. انظر: المحصول: ٣٩/٢، شرح الكوكب المنير: ١٧/٣

([٥١]) من الأمثلة التي حدد السياق اللغوي فيها دلالة الأمر، قوله صلى الله عليه وسلم: (صلوا قبل المغرب ركعتين)، ثم قال في الثالثة: (لمن شاء)، فدل ذلك على الإباحة، ومنها كذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (بين كل أذانين صلاة)، ثم قال: (لمن شاء)، فذلك يقتضي الإباحة، وليس الوجوب.

ومن هذه النماذج كل أمر ورد بعد (حَظْر) لا يدل على الوجوب، مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ ؛ لأن الأمر (فأتوهن) ورد بعد حظر، في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٢، (وانظر: المستصفى: ٤١٩/١، البحر المحيط: ٩٨/٢).

(٥٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ٤١/١

(٥٣) البيان والتبيين، للجاحظ: ٧٦/١

(٥٤) من يطالع مؤلفاتهم يعثر على شواهد كثيرة جدًا، ذكروا فيها أنها خالفت الموقف، ولم تراع المقام، ومقتضى الحال؛ فمن أمثلة مخالفة المألوف، مألوف العادة، والاستعمال، قول العباس بن أحنف:

سأطلب بُعْدَ الدار عنكم لتقربوا وتسكبُ عيناي الدموع لتجمدا

ومن أمثلة عدم مراعاة مشاعر المخاطب، ومكانته، قول البحتري:

لك الويل من ليل تطاول آخرُهْ ووشك نوى حتى تُزَمّ أباعرُهْ

فرد عليه أبو سعيد: بل الويل والحرب لك، ومنه قول جرير لعبد الملك بن مروان:

أتصحو أم فؤادك غير صاح؟ عشية هَمَّ صحبك بالرواح

فأنكره عبد الملك، وقال له: بل فؤادك أنت، وغير هذا كثير مذكور في مؤلفاتهم. (انظر: دلائل الإعجاز: ٢٦٨، وما بعدها، الصناعتين، لأبي هلال العسكري: ٤٥١-٤٥٢، ومنهاج البلغاء، لحازم القرطاجني: ١٤٩-١٥٠).

(٥٥) البيان والتبيين: ٧٦/١-٧٧، ومن المعروف أن إشارات الجاحظ هنا نشأ عنها ما يسمى (علم الكينات) أو الحركات الجسمية، ولها من الدلالات والإفادات ما يساعد اللغة بشقيها المنطوق والمكتوب في التعبير عن معاني المتكلم، ومقاصده، وإفادة المخاطب، وإعلامه بالمراد.

يذكر الجاحظ (البيان: ٧٦/١): أن الإشارة تكون باليد، وبالرأس، وبالعين، وبالحاجب، ..، بالثوب، وبالسيف .. ، ويستشهد بقول الشاعر (البيان: ٧٩/١):

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم

(٥٦) ذكر الجاحظ أن بشر بن المعتمر ذهب إلى أن المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك لا تتضع بأن يكون من معاني العامة، وما يجب لكل مقام من المقال. (البيان والتبيين: ١٣٦/١)

(٥٧) انظر: البيان والتبيين :١٤٥/١

(٥٨) انظر في ذلك: دلائل الإعجاز: ٣٤٥، ٥٢٦-٥٢٨، ٥٣٧-٥٣٨، مفتاح العلوم: ١٦٦، الإيضاح: ٥٩/١-٦٠، ٦١-٦٢، الإشارات والتنبيهات: ٨٥، أسرار البلاغة: ٢٤٨-٢٤٩، ٢٥٠-٢٥١، ٢٥٢.

(٥٩) انظر: البيان والتبيين: ٤٦/١-٧٧، ٩٢-٩٣، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩؛ ومما ينبغي ذكره هنا اهتمام الجاحظ بهذه النقطة اهتمامًا بالغًا.

(٦٠) انظر: دلائل الإعجاز: ٢٩٩، ٢٦٨، ٢٧٠، أسرار البلاغة: ٣٥٩-٣٦٠، الوساطة: ٣٨٤

(٦١) انظر: مفتاح العلوم: ١٦٨، ١٦٩، الإيضاح: ٨٥/٣

(٦٢) انظر: البيان والتبيين: ٧٦/١، ٩٢-٩٣، ١٣٦، ١٣٨-١٣٩، أما حديث الجاحظ عن نواقص الخطيب ففي البيان: ٧٦/١، ١٢، ١٣، ٣٤، ٧٧، إلخ.

([٦٣]) انظر: البيان والتبيين: ٨٩/١، ٩٢، الصناعتين: ٤٥١-٤٥٢

([٦٤]) انظر: الخصائص: ٣٧٠/٢-٣٧١

([٦٥]) الخصائص: ٢٤٨/١

([٦٦]) الأشباه والنظائر، للسيوطي: ٢٦٨/١

([٦٧]) الكتاب: ٢٨٠/١

([٦٨]) خزانة الأدب، للبغدادي: ٣٨٤/٤

([٦٩]) انظر: أثر سياق الكلام في العلاقات النحوية عند سيبويه، لسارة عبدالله الخالدي: ١١-١٢

([٧٠]) انظر: الكتاب، بعض هذه الأمثلة: ٤٣٩/١، ٢٥٣، ٢٥٧، ٣١٢

([٧١]) انظر: الكتاب: ١٣٠/٢، ٢٠٨

([٧٢]) انظر: الكتاب: ٢٥٧/١، ٣١٢

([٧٣]) انظر: الكتاب: ١٠٥/٢، ٦٥-٦٦، ٧٠

([٧٤]) انظر: الكتاب: ٢١٢/١

([٧٥]) انظر: الكتاب: ٢٠٩/١

([٧٦]) سورة النمل: آية ٤٧

([٧٧]) انظر: الكتاب: ٤٨٥/٣

([٧٨]) انظر: الكتاب: ١٧٨/٢

([٧٩]) سورة المزمل: آية ١٨

([٨٠]) انظر: الكتاب: ٤٧/٢

([٨١]) انظر: الكتاب: ٥٦٢/٣، ٥٦٦، ٥٦٥، ٤٥/٢، ٤٦، ١٧٩، ٥١/١، ٥٢، ومواضع أخرى كثيرة.

([٨٢]) سورة الزمر: آية ٢٨، وهناك آيات كثيرة تذكر عروبة لغة القرآن الكريم، منها: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ يوسف: ٢، ومنها: ﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ النحل: ١٠٣.

([٨٣]) عرض لهذه المسألة كثير من العلماء قديمًا وحديثًا، وعلى اختلاف اهتماماتهم وتخصصاتهم؛ لأن (طرق الوصول إلى أحكام الشريعة عند الأصوليين نابعة من جهة كونها بلسان العرب، ...، وهذا منهج قد وضع أساسه الإمام الشافعي في رسالته، وأصبح عند الأصوليين المتأخرين منهجًا تحليليًا في فهم النصوص الشرعية، أساسه اللسان العربي): التصور اللغوي عند الأصوليين: ١١٢، ويجمع الأصوليون على الرجوع إلى العربية وعلومها وعلمائها في إدراك الأحكام، والترجيح عند الاختلاف. انظر: المحصول: ٢١٢/٢، الإحكام في أصول الأحكام: ٦٩٣/٢، البرهان، للجويني: ١٦٩/١، الكوكب الدري: ١٨٥، شرح مختصر الروضة: ٣٩/٣، وغير ذلك كثير.

([٨٤]) انظر: منهاج الوصول إلى علم الأصول: ٦٣/٢-٦٤، الكتاب: ٣١٠/٢

([٨٥]) انظر: شرح تنقيح الفصول، للقرافي: ١٨٢، الكتاب: ٣١٦/٢

([٨٦]) انظر: الكوكب الدري: ٤٢١، الكتاب: ٩٥/٣-٩٦

([٨٧]) انظر: البحر المحيط، للزركشي: ١٢٢/٢-١٢٣، شرح المنهاج، للإسنوي: ٢٢١/١، الكتاب: ٣١٠/١، ٣٣١

([٨٨]) انظر: جمع الجوامع، للسبكي: ٣٢، ٨٨، الكتاب: ٢٣٤/٤

([٨٩]) انظر: البحر المحيط، للزركشي: ٣١٣/٣، الكتاب: ٢٣١/٤

([٩٠]) انظر كثيرًا من هذه المسائل في الكتاب، في المواضع: ٥٥/١، ٦١/٢، ٢٠/٣-٢١، وغيرها.

([٩١]) انظر: الكتاب: ٤٨/١

([٩٢]) انظر: الكتاب: ٣٦٤/٢، ١٠٦/٣-١٠٧، ٢٠٣، .. إلخ.

([٩٣]) انظر: الكتاب: ٣٠٨/١، ٧٤/١، ٧٦، ٢١٢، ٤٣١، ٢٩٥/٢، ١٠٣/٣، ٢٥٦-٢٥٧

([٩٤]) انظر: الكتاب: ٢٥٧/١، ٢٤٤/١، ٨٠/٢، ١٣٠

([٩٥]) انظر: الكتاب: ٧٢/١، ١٠٣، ٢٥٣، ٢٧٠، ٢٦٤/٢، ١٠٢/٣، ٣٩٢

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإبهاج بشرح المنهاج، للسبكي، تحقيق: د. شعبان إسماعيل، طبعة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨١م.

٣- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق: أحمد بن على، طبعة دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٤- أثر السياق في توجيه الأحكام الشرعية عند الأصوليين، د. محمد العبيدي، بحث بمؤتمر العربية والدراسات البينية، بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، مارس ٢٠٠٧م.

٥- أثر سياق الكلام في العلاقات النحوية عند سيبويه، سارة عبد الله الخالدي، رسالة ماجستير بالجامعة الأمريكية، بيروت، ٢٠٠٦م.

٦- إحكام الأحكام، شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٧- الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الظاهري، طبعة دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٤هـ.

٨- إرشاد الفحول، للشوكاني، تحقيق محمد سعيد البدري، دارالفكر، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٩- أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩م.

١٠- أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: العلامة محمود شاكر، القاهرة، ١٤١٢هـ.

١١- الإشارات والتنبيهات في علوم البلاغة، للسيد الجرجاني، تحقيق: عبد القادر حسين، دار نهضة مصر، القاهرة، (د. ت).

١٢- الأشباه والنظائر، للسيوطي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٣- أصول السرخسي، لأبي بكر السرخسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤ه - ١٩٩٣م.

١٤- الأصول في النحو، لابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٥- الأصول، دراسة إبيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، للدكتور تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٦- إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرءوف، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

١٧- الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، تحقيق: عبد القادر حسين، طبعة البابي الحلبي، ١٩٨٥م.

١٨- البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، تحقيق: عبد القادر العاني، وآخرون، طبعة وزارة الأوقاف الكويتية، ١٩٨٨م.

١٩- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، تحقيق هشام عبد العزيز، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
٢٠- البرهان في أصول الفقه، للجويني، تحقيق: د. عبد العظيم الديب، دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٢١- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتاب العربية، القاهرة، ١٩٥٧م.
٢٢- البيان في روائع القرآن، للدكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٢٣- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٢٤- التصور اللغوي عند الأصوليين، للدكتور أحمد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م.
٢٥- التعريفات للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٢٦- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م.
٢٧- الجني الداني، للمرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
٢٨- حاشية الصبان على شرح الأشموني، تحقيق: طه عبد الرءوف، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د. ت).
٢٩- الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.
٣٠- دلائل الإعجاز، للجرجاني، طبعة دار المنار، القاهرة، ١٣٦٧هـ.
٣١- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة: د. كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٩٢م.
٣٢- ديوان الحطيئة، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٢م.
٣٣- الرسالة، للشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٩م.
٣٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، للألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
٣٥- سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.
٣٦- سنن الترمذي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون، دار الحديث، القاهرة، (د. ت).
٣٧- شرح الرضي على الكافية، لرضي الدين الاستراباذه، تحقيق: الدكتور يوسف حسن عمر، (د. ط)، ١٩٧٣م.
٣٨- شرح الكوكب المنير، لابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي، مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ.
٣٩- الصحاح، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
٤٠- علم الدلالة، فرانك بالمر، ترجمة: مجيد الماشطة، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٥م.
٤١- علم الدلالة، للدكتور أحمد مختار عمر، مكتبة العروبة، الكويت، ١٩٨٢.
٤٢- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م.
٤٣- قرينة السياق، للدكتور تمام حسان، مطبعة عبير للكتاب، ١٤٠٣هـ - ١٩٩٣م.
٤٤- قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام، تحقيق: الشنقيطي، دار المعارف، بيروت، (د. ت).

٤٥- الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨ه – ١٩٨٨م.
٤٦- الكشاف، للزمخشرى، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود وآخرين، مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
٤٧- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م.
٤٨- اللغة العربية معناها ومبناها، للدكتور تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.
٤٩- المحصول، للرازي، تحقيق: طه جابر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
٥٠- مختصر الصواعق المرسلة، لمحمد الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
٥١- المستصفى، للغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.
٥٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، تأليف: إبراهيم مصطفى وآخرين، طبعة دار الدعوة، القاهرة، (د. ت).
٥٣- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
٥٤- مفتاح العلوم، للسكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
٥٥- الموافقات، للشاطبي، تحقيق وشرح: محمد عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
٥٦- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، للدكتور نهاد الموسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م.
٥٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.